أضعَ تحتَ يَدَيهِ بِرغُمَة
قلْبي قَبْلَ ذبولِها ؟
أين ؟ . . . هَيْهات !
ان قلب الشاعر
كزهْرةِ الرّبيعِ ظَمْآنُ
للمْحَةِ الجَمال ! . . . .
خافِقهُ المُعَذّبُ يَهْفو
لِرَشفةِ السّعادة ! . . .
يَنْتَظِرُ لينالها منْ
فَم الحياة . . .
من دَلالٍ يتجلّى
في مُقْلَةِ الحبيبة !
بَيْدَ أنّ قطْرَةً
منَ السّعادةِ لَمْ تَهِم
على أوراق هذهِ
الزّهرَة الذابلة
لَمْ يُصِبْ برودةَ
روحها شُعاعٌ منْ
شمس الحُرّيّة
يموزَ في عروقها
الدفءَ !
قد ذَهَبَ مَسْعايَ
سدى . . .
انَّ عُنقي الدامي
لَمْ يتحَرّرْ من السلاسلِ
الخانقة . . .
كَبِدي الممزقُ
لَمْ تندملْ جروحُهُ . . .
إنّ قُيودَ مِعْصَمي
قَدْ صارتْ أضيقَ سعةً
منْ ذي قَبلْ . . .
سَلاسلُ قدميَّ أمتنُ
وأثْقل !
لكنّ الأمل . .
الجذوةُ الباقيةُ منْ
عُمْرِ الشّباب . . .
بَصيصُ رُوحي السكْرى
لَمْ يكنْ أبداً مُقَيّداً
بالمكان والزّمان . .
كانَ يَحُثُّ الخطى لحياةِ
الغَدِ !
لِحياةٍ ستكونُ أبداً
إنتعاشاً للمَحَبّة . . .
سعادةً . وَخيالاً .
وإنْتشاء . . .
لِحياةٍ سيكونُ
مَنْظَرُها بِألفِ
لَوْنٍ ولَوْن !
هذهِ السّنةَ بَلَغْتُ
الأربعين . . .
كَمْ بسُرْعَةٍ غريبةٍ
زالَ سَرابُ أحلامي !
أنا المَغلوبُ على أمره .
أنا الأنسان .
أنوحُ وأذرفُ الدموعَ
على رَحيلِ الشّباب !

(١) من ديوان خروشان و رامان
عواطف وتأملات

الوتد

محمد رشيد فتاح

●

ترجمة : نورية الزهاوي

كان الوقت ليلا . وللمرة الأخيرة قررت في نفسي أن أصب ساقية افكارٍ في نهر أفكارهم . خرجت من البيت . وطفقت أغذ الخطى نحو دار كاكه‌برا . ها أنا أيضا أذهب الآن . ولا ريب في أن احدهم سيسألني :

– وماذا تقول انت ؟

وسأجيب قائلا :

– أخي ان لي أيضا رأيي الخاص . ويقتحم شخص آخر منهم مناقشتنا المحتدمة :

– يبدو أنك مهتم مثلنا بهذه المسألة ؟

– أجل انه لكذلك . ألست أعيش في هذا الحي ؟

– اذن . كل الطرق تؤدي الى بانه .

– كلا . ياسيدي . ليست كل الطرق تؤدي الى بانه .

– اذن . فماذا ينبغي أن نفعل في رأيك ؟

– آه . . ما دام الامر هكذا . فقد استدعوني لايجاد علاج ما لهذا الـ «ماذا ينبغي أن نفعل» .

– جيد . . ترى هل يمكن القول أنهم من جانبهم لم يتوصلوا الى نتيجة حتى الآن ؟ لا أصدق . . ينبغي أن يكونوا قد ◁

توصلوا . . اي أن النهر قد انصب في البحر . جيد . حسنا ، ولكن أي بحر هو؟ ذلك البحر الذي يهمك ! . . .

– لا أصدق ، اذن فلماذا تخلط ساقيته أفكارك في نهر لا تدري في أي بحر ينصبّ ؟

– كلا ، أنا لا أفعل هذا أبدا . ترى على أي شيء استقروا ، وماذا قرروا ؟

– لنقل . . . انهم قرروا أن يشتروا الدار .

– حسنا . . . ولكن كيف يتخلى الملا عن داره بهذه السهولة ؟

– لنفترض أن يد الطمع سحقت رأس نجل الملا ، فتخلى عن تمسكه بالدار . آنئذ سينقدونه مالاً بالمجان ، ويتخلص اهل الحي ، بعد ذلك ، من فتن الملا وزوجته وفوضاهما ، وسيخلدون الى الراحة بهدوء وفراغ بال .

– حسنا . . . ولكن ماذا لو ثارت نزوات الملا القديمة وطالب من جديد ببيته السابق ، وظهر من جديد مثل الاعشاب الضارة ، فماذا سيحدث آنذاك ؟ تلك هي المسألة الأساسية . ولهذا السبب بالذات فمنذ الآن أقرر أنى لن امزج ساقية افكاري ببحر أفكارهم . لئن كنت أعرف الملا ، فانني أعرف أنه سيتراجع ، وأنه سيأتي يوم يأتي فيه الى الناس ، ويقول لهم : هاكم نقودكم ، فانى اريد بيتي . . .

– ليس الأمر كذلك . . من ذا يتوقع أن يكون كذلك . . . لن يحدث هذا . . . لقد اشترينا الدار منه وانتهى الأمر . . يا ناس ! ها هو الملا قد عاد ثانية ، وهو يطالب بداره ، والناس شهود على أن الدار لم يتم بيعها لأنكم اشتريتموها منه اكراها .

– أيها الناس ، وكيف لم يتم بيعها ؟ لقد بيعت الدار وقضي الأمر . ألا ترون ان بعضكم ممن مزجوا افكارهم في بحر الأفكار الغريبة ، وقد نكصوا على أعقابهم ، وهم يقولون :

– في ذمتنا ، ان الملا على حق ، وقد اشترينا الدار منه كرها .

– اذن ، فانني لا أفعل هذا ، ولن أمزج ساقية أفكارى في بحر أفكاركم ، لأن النظر في هذه المسألة من جانب وتركها من جانبها الآخر ، أمر غير ذى جدوى .

– فاذهب أنت وعبر عن رأيك ، ثم انظر ماذا ستكون النتيجة ؟

– لماذا تقلب من الآن كل شيء عاليه سافله ؟

– قطعت الزقاقين ، وفي مدخل الزقاق الثالث التقيت بنادر وجها لوجه .

– ماذا . . . أذاهب أنت ؟

– لماذا ؟

– بعد فوات الأوان ؟ لقد حسمنا نحن كل شيء .

– كيف ؟ . . ماذا فعلتم ؟

– اشترينا الدار من الملا .

– أبهذه البساطة باعها ؟

– كلا !

– ماذا ، اذن ؟

– أبقى لنفسه وتدا في باحة الدار .

– ما معنى هذا ؟ . . ولماذا ؟

– امتطى المركب الصعب ، وأصر على أن لا يبيع الدار الا بشرط أن لا يكون الوتد ومحله ضمن المبيع .

– عملكم هذا لم يكن عملا صالحا ، لأن ذلك الوتد سيغدو جرثومة الجذام .

– وحتى اذا غدا كحية الشيخ عمر ، المهم أننا تخلصنا من الملا وزوجته .

أطلق ضحكة ومشى . ورجعت أنا القهقرى . والحق أنى غرقت تلك الليلة في نوم هانئ عميق ، شأنى شأن اهل الحي ، بعيدا عن صراخ وازعاجات الملا وزوجته . ولكن قبل أن ينقطع خيط الوعى نهائيا ، قلت : «قضي الأمر» .

° ° °

لم تكن وردة الصبح الجديدة قد تفتحت بعد في سندانة

الطبيعة عندما فتحت عيني على صوت صخب مكثف . فبادرت الى مغادرة المنزل ، وتوجهت صوب الضجيج . وفي كل خطوة أخطوها ، كنت أحس برائحة كريهة تقطع عليّ طريقي . وكلما اقتربت أحسست بضغط أشد على دماغي . حتى كدت أعود من حيث اتيت . ولكنني لم أكن أريد أن أعود فارغ اليدين . فاضطررت لأمسك بأنفي ، وتقدمت الى أمام . وعندما اقتربت من بيت الملا وجدت حشدا كبيرا من الناس ، وهم في هرج ومرج ، وكل فرد منهم يتحدث عن مسألة لم أكن اعرف عنها شيئا ، ولا أدرى ماذا يقولون .

وجدتني مضطرا لأسأل اقرب شخص اليّ . فوجدت شخصا . وقبل أن يرفع يده عن أنفه قال لي ، وهو يتلعثم :

– لقد عاد !

– ماذا تعني ؟

– ألا ترى أن علق جثة نتنة على الوتد في باحة الدار ؟

قال الرجل ذلك وذهب لحال سبيله . ومرّ الى جانبي شخص آخر قال لي ، وهو يبتسم ابتسامة ساخرة ، :

– ألا تشم هذه الرائحة ؟

– أجل !

– اذن . فلماذا لا تمسك بأنفك ؟

– ألا تراني ممسكا بأنفي ؟

– أين ؟

كان كلامه صحيحا ، فقد كنت رفعت يدي عن أنفي من غير أن أعرف كيف لم تحطم مخي الرائحة العفنة .

قلت له فورا وبخجل ، استحياءً :

– أكاد أختنق وتتقطع أنفاسي ان أمسكت بأنفي .

– كيف ؟

– أعني أن ما دام وتد الملا مثبتا على الجدار ، فعلينا أن نكيف أنفسنا على هذه الروائح .

قال بغضب :

– ما هذا الكلام ؟ يبدو أنك أيضا منهم ؟

– ممن ؟

– من الذين قرروا أن يبقى هذا الوتد اللعين ملكا للملا .

قبل أن أجيب عليه ، أدار رأسه وتركني ومشى . . .

وشعرت بسعادة مفاجئة هزت أعماقي : ألحمد لله ، فقد وجدنا أناسا يحاولون التخلص من الوتد نهائيا . اذن ، فانني امزج ساقية أفكاري مع النهر الذي أبغيه وأعرف في أي بحر سينصب .

ومن ناحية أخرى جاء نادر في أثرى وهو يناديني من بعيد . وحين التقينا ، قال لي :

– ألحضار ينتظرونك

ذهبت معه ، ووصلنا المكان المقصود . كان الناس على ما يبدو في جدال ونقاش محتدمين بينهم . . وبعد حين من الاصغاء اليهم ، تبين لي أنهم كانوا منقسمين الى فئتين : فئة تصر على شراء الوتد من الملا ، وفئة تريد قلعه من اعماقه . فانضممت الى الفئة التي كانت تبغي قلع الوتد من الأساس .

وبعد أن عبرت عن رأيي انبرى رجل من الفئة الثانية قائلا :

– اولا تخشون شكوى الملا ؟

– أية شكوى ؟

– كيف ؟ ان الملا يعرف اناسا متنفذين كثيرين ، ويستطيع ادانتنا بوساطتهم .

– اذن ما دمتم تخشون شكوى الملا ، فلا مفر من أن تظلوا تشتمّون رائحة الجثث الفاطسة النتنة .

– كلا ! اننا لسنا مع وجود مثل هذه الروائح .

– وما الحل ؟ اننا نريد شراء الوتد منه ، ولكنه يأبى أن يبيعه .

– وما أدراك ؟

– أعرف .

وبينما نحن في هذا الجدل الحامي الوطيس ، دخل علينا شخص مسرعا ليقول لنا :

– يقول الملا انه يبيع الوتد بشرط أن تعيدوا له الدار ! . .